الحقيقة الواحدة

لا مير الشعراء أحمد شوقي بك فصول من النثر ضارعت « غرر زياد » وفقر الفصيح من اياد » وسجع الحمامة على فرع غصنها الميادة » . واذا كان الزمخشري قد نظم البلاغة ذهباً في أطواق » والاصفهاني قد سبكها منه في أطباق » فان شاعر العرب الأكبر أحمد شوقي بك قد عرضها ذهباً خالصاً هو زينة الاسواق » وأنفس الاخلاق . و (الزهراء) تبشر قراءها بأن (أسواق الذهب) معدة لطبع بأزهى الحلى وأبهى الحلل . وهذه المقالة هي الكلمة الاولى في ذلك الكتاب . و« الحقيقة الواحدة » هي وجود الله سبحانه » ولعل المؤلف يشير بها الى قول لبيد :

« ألا كل شيء ماخلا الله باطل »

يا مُتابِعَ المَلاحدة ، مُشايِعَ العُصْبة الجاحدة ، منكرَ الحقيقة الواحدة : ما للأعمى والمِرآة ، وما لِلمُقْعَد والمِرْقاة [1] ، ومالكَ والبحثَ عن الله ؟

قُمْ إلى السماء تَقَصَّ النظر [2] ، وقُصَّ الأثر [3] ، واجمع الخُبْرَ والخَبَر [4] . كيف ترى ائتلافَ الفَلَك ، واختلافَ النور والحَلَك [5] ، وهذا الهواء المشترك ؛ وكيف ترى الطيرَ تحسَبُه

---

(١) المقعد : الذي يشكو القعاد ، وهو داء يقعد المصاب به عن المشي . والمرقاة : السلم (٢) أرسله الى أقصاه (٣) قص الاثر : اقتفاه (٤) الخُبر : الاختبار بالمشاهدة . والخَبر : الرواية بالسماع (٥) الحلك : الظلام

تُرِكَ ، وهو فى شَرَكٍ [١] ، استهدَفَ فما نجا حتى هلك [٢] ؛ تعالى الله دَلَّ المُلْكُ على المَلِكِ!

وقِفْ بالارضِ تسألها : من زَمَّ السحابَ وأجراها [٣] ، ورَحَّلَ الرياحَ وعرَّاها [٤] ، ومن أقعد الجبالَ وأنهض ذُراها [٥] ، ومن الذى يحلُّ حُباها [٦] ، فتخرُّ له فى غدٍ جباها ؟ أليس الذي بدأها غبَرات [٧] ، ثم جمعها صَخرات ، ثم فرَّقها مُشمَخِرَّات [٨] ؟

ثم سَلِ النملَ مَنْ أدَقَّها خَلْقا [٩] ، ومَلَأها خُلُقا [١٠] ، وسلَكَها طُرُقا [١١] ، تبتغي رزقا ؟

---

(١) تظنه حراً طليقاً وهو أينما حلّ في متناول قبضة الصياد

(٢) استهدف : أصبح غرض السهام . والمراد انه لا يكاد ينجو من سهم مصوب اليه حتى يدركه الموت من سهم آخر (٣) زم الناقة : خطمها

(٤) رحل البعير : شد على ظهره الرحل تمهيداً للسير . عراها : جردها مما فيها من أمطار (٥) أقعد الجبال : ثبت قواعدها في الارض . وأنهض ذراها : اى رفع عاليها شامخة في السماء (٦) يحل حباها : اي يفكها من حبوتها وينهضها من ربضتها (٧) غبرات جمع غبرة (بتسكين الباء) وهي ذرة الغبار (٨) فرقها في الارض ، ومشمخرات اي باذخات (٩) ادقها : صيرها دقيقة (١٠) خلق النمل : تلك النظم المتسقة التي يوحي لها بها الالهام (١١) سلكها طرقاً : جعل لها طرقاً تسلكها

وسلِ النحلَ مَنْ ألبَسها الحِبَر [١]، وقلّدها الابَر [٢]، وأطعمَها صفوَ الزَّهر، وسخَّرَها طاهيةً للبشر [٣]؟

لقد نبذتَ الذَّلولَ المُسعِفة [٤]، وأخذت في معامِي الفَلْسَفة [٥]، على عَشواءَ من الضلال مُعْسِفة [٦]. أوْ لاَ فخبِّرْني: الطبيعةُ مَنْ طبَعَها [٧]، والنظُمُ المتقادمةُ مَنْ وضعَها، والحياة الصانِعَة مَنْ صنَعَها، والحركةُ الدافعةُ مَنِ الذي دَفَعَها [٨]؟!

---

(١) الحبر: جمع حبرة كعنبة وهي برود يمنية ملونة. وقد شبه بها المؤلف تلك الالوان الزاهية التي يتخايل بها النحل تحت اشعة الشمس

(٢) قلده السيف: وضع حمالته في عنقه (٣) طاهية: طابخة، تطبخ للناس في بطونها عسلا (٤) الذلول من الدواب: ما كانت سهلة القياد، والمراد بها هنا الشريعة السمحة. والمسعفة: التي تسعف أبناءها باليقين والايمان

(٥) المعامي: المجاهل

(٦) العشواء: العمياء. وأعسف: خبط في السير

(٧) طبعها: خلقها. وهنا يبدأ المؤلف في تعجيز الملحدين

(٨) النظم المتقادمة، والحياة الصانعة، والقوة الدافعة: كل هذه قوى يظن الملحدون كفراً انها هي الاصل في الكائنات

عرفنا كما عرفتَ المادّة ، ولكن هُدِينا وضللتَ الجادّة[١] ، وقلنا مِتلكَ بالهيولى[٢] ، ولكن لم نجحد اليدَ الطولى[٣] ، ولا أنكرنا الحقيقةَ الأولى[٤]

أتينا العناصرَ مِنْ عُنْصُرِها[٥] ، وَرَدَدْنا الجواهرَ إلى جوهرِها[٦] ، اطَّرَحنا فاستَرَحْنا[٧] ، وسلَّمْنا فسَلِمْنا ، وآمَنَّا فأَمِنَّا ، وما الفرقُ بيننا وبينك إلا أنكَ قد عَجَزْتَ فقلتَ : سرٌّ مِن الأسرار . وعَجَزْنا نحن فقلنا : اللهُ وراء كلّ ستار!

سَوقى

---

(١) الجادة : الطريق القويم

(٢) الهيولى: مادة ، وشبه الاوائل طينة العالم بها (٣) اليدالطولى : يد الله التي ابدعت هذه الطينة ونفخت فيها الروح (٤) الحقيقة الاولى : وجود الله (٥) العناصر جمع عنصر وهو اولا بمعنى المادة البسيطة ، وثانياً بمعنى الاصل . واتيناها أي بحثنا فيها

(٦) الجواهر : جمع جوهر : وهو الحجر يستخرج منه شيء ينتفع به ، والجوهر ثانياً : بمعنى الاصل والجبلة

(٧) اطرح الحمل : ألقاه عن عاتقه . والمقصود من هذه الجملة وما بعدها : آمنّا بالله وتركنا ما دون هذا من التفكير العقيم الذي لا نهاية له ، والبحث الضال الذي لا يؤمن فيه العثار . . .